مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

المقاربات الفلسفية الفرنسية لظاهرة العنف الإسلامي

French philosophical approaches to the phenomenon of Islamic violence

د. عبد النور نابت
جامعة البويرة

الملخص:

توجهت الفلسفة السياسية الفرنسية المعاصرة إلى تناول المسألة الإسلامية في الغرب، وقد كان لحوادث العنف الإسلامية نصيبا من التناول، وتحاول الدراسة فهم أسباب العنف، وفيما إذا كانت ذات طبيعة ثقافية، فهل العنف جوهري في الديانة الإسلامية أم أن المسألة ذات أبعاد تاريخية، وتحاول دراستنا فهم ذلك بالعودة إلى أهم الأسماء الفلسفية الفرنسية الحاضرة بقوة في الأوساط الإعلامية والأكاديمية، تنتهي الدراسة إلى نتيجة صادمة، ذلك أن جميع المواقف الفلسفية تعالج الموضوع ضمن منطق الهوية والدين إلا فيما ندر، وهذا بالتماهي مع الرسالة الإعلامية التي تساهم في ترسيخ المخاوف من الإسلام في وعي المواطن الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: العنف الإسلامي، الجهاد، الأصولية الإسلامية، القرآن، الفلسفة الفرنسية

Résumé:

La philosophie politique française contemporaine a traité la question islamique en Occident. Les incidents de violence islamiques ont une part de l'approche. Cette étude tente de comprendre les causes de la violence. Si elle est de nature culturelle, la violence est-elle fondamentale dans la religion islamique ou la question a des dimensions historiques?

المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264

تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

Reprenant les noms philosophiques français les plus importants qui occupent une place prépondérante dans les médias et le monde universitaire, l'étude se termine par une conclusion choquante, toutes les positions philosophiques abordant le sujet dans la logique de l'identité et de la religion, sauf rarement, conformément au message médiatique qui contribue à l'établissement. Des Craintes de l'islam dans la conscience du citoyen français.

Mots clés: violence islamique, le djihad, le coran, fondamentalisme islamique, philosophie française.

مقدمة:

يثير الإعلام الفرنسي الكثير من القضايا المرتبطة بالجالية المسلمة غداة كل حادثة إرهابية تقع على التراب الفرنسي، ولما كانت أحداث العنف تتوالى، كان التساؤل حول مسؤولية المسلمين عن هذه الأعمال وربط كل ذلك بالإسلام، وقد كان هذا الموضوع مادة مهمة للتأملات الفلسفية الفرنسية، وكلها تحاول فهم طبيعة النصوص الدينية الإسلامية والوقوف على الأسباب الحقيقية لهذا العنف الهمجي، فهل الإسلام في جوهره دين عنيف، أم أن العنف مسالة ظرفية؟

سنحاول في هذه الدراسة تتبع ما كتب خلال السنوات الماضية حول موضوع علاقة الإسلام بالعنف من كل الجوانب التي تجيب عن التساؤل المطروح، وقد حاولت الاعتماد أساسا على الأسماء الحاضرة في وسائل الإعلام، وفي الأوساط الأكاديمية.

1. الدلالات اللغوية والفلسفية للعنف

من هذه الخلفية، فإنه يجب توضيح دلالات مفهوم العنف والمصطلحات المقابلة له في الاستخدامات الفلسفية المعاصرة، ولما كان الموضوع مرتبطا بهذه الفلسفة، وجب فهم راهن هذه الفلسفة، واهم اتجاهاتها الإيديولوجية.

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

1.1 مفهوم العنف في اللغة

ورد على لسان كبار اللغويين العرب، وعلى رأسهم ابن منظور في لفظة العنف على أنّها تدل على الخرق والتعدي، وهو ضد الرفق: عنف به، وعليه يعنف عنفا، وعنافة أي قسا به، وهو عنيف إن لم يكن رفيقا في أمره، ونقول اعتنف الأمر أي أخذه بعنف، عنّف الشيء أخذه بشدّة وقسوة . (ابن منظور، دون ت، 903)

وما دام الموضوع متعلقا بالفلسفة الفرنسية فإنّه وجب فهم الدلالة اللغوية الفرنسية للكلمة، فكلمة عنف (violence) مشتقة من اللفظة اللاتينية (vis) التي تدل على الاستعمال غير الشرعي للقوة دون سند شرعي، ورفض للقانون والعدالة والخضوع لأي سلطة، يقول أندريه لالاند :" عندما نكون نحن الذين نعيش في ظل قوانين مدنية مكرهين على إبرام عقد ما لا يقتضيه القانون، نستطيع بموجبه أن ننقلب على العنف." (André Lalande,1996,1210)

هذا بالنسبة للدلالة اللغوية والفلسفية لمصطلح العنف، أمّا بالنسبة لراهن المشهد الفلسفي الفرنسي فإنّه يجب العودة إلى ملف المجلة الأدبية الفرنسية littéraire (magazine octobre 2006,pp22-59) والتي خصصت ملفا حول الرهانات الجديدة للفلسفة، عنوانه **ثلاثون مفكرا لفهم عالمنا**، وهذا الملف فرصة مهمة لفهم حقيقة المشهد الفلسفي الفرنسي المعاصر، خاصة بعد رحيل أسماء فلسفية ذات شهرة عالمية (سارتر، فوكو، دريدا، دولوز)، وقد ركزت المجلة على أسماء متعددة كمارسيل غوشيه، بيير مانيه، جاك رونسيير، جون لوك نانسي، ايتيان باليبار، ألان باديو، ولكن المجلة أهملت أسماء لها حضور إعلامي(برنارد هنري ليفي، اندريه غلوكسمان، ألان فينكيلكروت، رجيه دوبريه، ميشال أونفراي، ايدغار موران.

يتوزّع الفلاسفة في فرنسا بين مراكز البحث العلمي والجامعات، ووسائل الإعلام، ولاشك أنّ تأثير ما تقدمه وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة واضح و ذو قوّة،

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

ويعرّف هؤلاء الفلاسفة بعدة تسميات: مثقفو الإعلام، الرجعيون الجدد، الفلاسفة الجدد.

عموما، يتم استدعاء الفلاسفة في المنابر الإعلامية لفهم هذا العنف المرتبط بمسلمين يعيشون داخل فرنسا، ولقد ارتبط مصطلح العنف بعدّة تسميات: " العنف الجهادي، الإرهاب الأصولي، العنف الوحشي، البربرية الأصولية...الخ، وهي تسميات تصنع ادراكات مخيفة عن الإسلام في أذهان عموم المواطنين الفرنسيين، فما حدود حقيقة هذا الادعاء من الناحية الموضوعية؟

2. الإسلام والعنف الثوري

قد يبدو هذا العنوان غريبا عن الموضوع الرئيسي، ولكن في إحدى الجوانب الأساسية من النقاش المحتدم حول الحركات الإسلامية الممثلة للإسلام يربط الكثير من الفرنسيين بينها وبين حركات اليسار الراديكالي في المطالب المشتركة والأهداف الواحدة، ذلك أن التنظيم الدولي الرابع ومنذ سنة 1979، وهي المنظمة التي تنتمي إليها مجموعات تروتسكية فرنسية من الرابطة العمالية الثورية، بدأت تتجمع حول ما يسميه البعض خط الإمامة، وفي حقيقة الأمر لا يعرف المناضلون التروتسكيون شيئا عن التقليد الإسلامي، ولا يهتمون بالطقوس، ولا بصلوات الجماهير الإيرانية، ولكن السؤال المطروح كان مرتبطا بالمنافس الأساسي، وبالنتيجة الحليف المفضل، وفي ظل هذه الشروط كان الصراع ضد الامبريالية الأمريكية، يستدعي دعما لنظام الخميني.

(Jean birnbaum, 2016,168-169)

هذا التحالف بين قوى اليسار الراديكالي وممثلي الإسلام السياسي لم تفرضه الثورة الإيرانية، وإنّما جمعهم الاتفاق على نقد القيم الرأسمالية، ولهذا فإن صمت القوى اليسارية الراديكالية عن العنف الموجّه ضد المصالح الغربية جعل الكثير من الفلاسفة الفرنسيين يضعون مصطلحا جديدا جرى تداوله إعلاميا عنوانه التيار الإسلاموي اليساري (islamo gauchiste) وهو تيار يضم فلاسفة

المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264

تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

وإعلاميون ومثقفون بشكل عام يعادون اليمين المتطرف والصهيونية، ويرفضون نعت المسلمين بالإرهابيين، لكن ثمة قراءة أخرى تعتقد أن الإيديولوجية الإسلامية مصدرها الإيديولوجيات الغربية، فقد كان للمؤلفين الألمان في القرن الماضي تأثير كبير على الإيديولوجية الإسلاموية، فقد كان لمصطلح مرض الغرب أثر في كتابات الإيراني أحمد فرديد**(1909-1994)**، والذي تكوّن في جامعة هايدلبرغ والسوربون، واعتمد في كتاباته على فكر هايدجر المضاد للحداثة، وبخاصة محاضرات 1949. ولا يمكن أن نغفل تأثير البعد الماركسي الثوري، لأن **فرديد** كان يرى أن حقوق الإنسان فخ بورجوازي ضد العمال، ولكن أكثر الفلاسفة تأثيرا عليه كان ارنست يونغر**(1895- 1998)** بأفكاره النقدية للاستهلاك والرأسمالية والأمركة.(Raphael liogier, 2018,71)

وهكذا، فإن قوى الإسلام الراديكالي تغذي كراهيتها للغرب من الإيديولوجية الغربية باختلاف المرجعيات الفلسفية والسياسية لمؤلفيها (ماركس، يونغر، هايدجر...الخ) 2018,72 (,raphael liogier)

وعودة إلى فكرة التحالف بين اليسار الراديكالي وقوى الإسلام السياسي، فإن السياق مرتبط بأحداث الثورة الإيرانية، والتي مثلت انتصارا إيديولوجيا على الامبريالية الأمريكية، وقد كانت كتابات الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو ذات تأثير واسع على جيل من مثقفي اليسار الراديكالي لما تضمنته من أفكار جديدة تنم عن إعجاب فوكو بخصوصيات الثورة الإيرانية.

يتوقف هذا الفيلسوف عن القوة التي تجعل مئات الناس يضحون بأرواحهم أمام نظام ملكي يملك جيشا وشرطة قمعية، ولاشك أن سر التضحية لا يمكن أن تفسّر بالرجوع إلى الإيديولوجيات السياسية ذات النمط الماركسي، ولا إلى الإيديولوجيات الثورية بالمعنى الغربي،إنه يجب البحث عنها في مصادر أخرى. (Erick Aaschlmann, 2018, 74-75)

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

وبالنسبة لميشال فوكو يجب النظر إلى الواقع، فما يحدث في إيران من هبة شعبية يعود بالأساس إلى رفض شعبي لنمط التحديث الشائخ، والذي حاول أتاتورك فرضه على الأتراك، والمستورد من الغرب، وهو نفس النهج الذي سلكته مملكة بهلوي الإيرانية في الثلاثينات من القرن الماضي، وهذا ما استغله رجال الدين، والذين كانوا ملاذا روحيا للطبقات المقهورة.

يتحدّث **فوكو** عن روحانية سياسية التمسها في ظل الأجواء التي عايشها أثناء فترة ما بعد المظاهرات، وهذه الروحانية السياسية يمكن أن توجد في الدين وخارج الدين، ففي البوذية مثلا، والتي هي دين بدون لاهوت توجد هذه الروحانية، وفي الحضارة اليونانية نتلمس هذا المفهوم، إذن ليس بالضرورة أن يكون الدين مصدرا للروحانية، وعلى هذا الأساس فإن هذه الأخيرة تمثل تلك الممارسة، التي يكون فيها الإنسان متحولا ومتنقلا ومنبعثا حتى يعود إلى فردانيته الأصيلة، وهذا ما حدث للإنسان الإيراني الذي واجه نظاما سياسيا قديما في محاولة لتغيير واقعه المأساوي. (Erick Aaschlmann, 2018, 73)

لقد أدرك **فوكو** مبكرا أن الإسلام في لبوسه السياسي، وفي روحانيته الثاوية ليس عودة لسحر العالم ضد الحداثة الغربية في ملمحها الفاوستي، بل هو منذور لأن يصبح في الآماد القادمة نسغا مغذيا للحركات الاجتماعية، ومفردة لا محيد عنها في فهم الراهن حالا واستقبالا، إن الإسلام، كما نبّه **فوكو** الى ذلك منذ متم سيغدو قوة فاعلة في خلخلة النظام الكوكبي، وعنصر جذب في الممارسة السياسية، باعتبارها بذلا أقصى، واسترخاصا للنفيس وتجربة حدود تمضي بالذات إلى تخومها القصوى، وليس مجرد توافقات مشروطة ببروتوكول قائم. (محمد الشيكر، 140،2016-141)

وتوضيحا لما أكده فوكو يقول الفيلسوف الفرنسي جاك أيلول(1912-1994): " تأسست العلمانية والفكر الجمهوري واللأدري، لم تعد هناك أخلاق بمعنى

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

الواجب، ولم يعد هناك إيمان بأي شيء، وفجأة وبضرب من الإعجاز ظهرت عقيدة قوية هي عقيدة الإسلام، فكيف لا يمكن للمرء أن ينجذب شطر هذا الغنى الفائض الذي جاء ليملأ فراغنا ويسد ثلمته."(Jacques) Ellul, 2004, 46-47

وهكذا، فإن تركيز بعض الفلاسفة الفرنسيين البارزين إعلاميا (ألان فينكينكروت، باسكال بروكنر، وبرنارد هنري ليفي) على وجود تحالف استراتيجي بين الأصولية الإسلامية واليسار الراديكالي، ناتج عن اعتقادهم عن وجود تماثل بين الشيوعية التاريخية والأصولية الإسلامية، وهذا ما انتبه إليه الفيلسوف الألماني **بيتر سلوترجيك** واضعا الملاحظات التالية:

1- تمتلك الإسلاموية ديناميكية لا تراجعية للمهمة تؤهلها لتشكيل مجموعة متنامية من المعتنقين الجدد، وغالبيتهم من الغاضبين والمقهورين. (Peter sloterdjik, 2007, 305)

2- قدرة الإسلام على تقديم صورة مفهومة ومتعاظمة عن العالم لأتباعه تلعب دورا كبيرا في بناء تمييز بين الصديق والعدو، فقد تم استبدال عدو الطبقة بعدو الإيمان وصراع الطبقات ترك مكانه للحرب المقدسة. (Peter sloterdjik, 2007, 306)

3- وجود ديناميكية ديمغرافية لحقل التعبئة، والتي تركز على الشباب، وهذا الأمر مشابه للحركات الشمولية في القرن العشرين (الفاشية، الماركسية، النازية). (Peter 2007,307) Sloterdjik)

يقوم هذا التشخيص على اعتبار الحركات الإسلامية والعنف الذي تمارسه اتجاه مخالفيها مشابها للعنف الذي مارسته المجموعات الفاشية بأوروبا خلال القرن الماضي، ولكن ما حقيقة هذا التشخيص؟ وما هي حدوده؟

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

3. الإسلام والعنف الفاشي

يحلو للكثيرمن الإعلاميين والفلاسفة والكتاب الغربيين، إطلاق تعبير الإسلام الفاشي أو النازي، وفي هذه الحالة يجب أن نشير إلى الكم الهائل من الكتابات ذات الطابع الإيديولوجي حول مصطلح الإسلام الفاشي، وهي كتابات تحركها المخاوف الغربية من الوجود الإسلامي في الغرب، ولكن وجب تحليل هذا الخطاب جيدا.

يطلق مصطلح الفاشية تاريخيا على الأنظمة السياسية التي حكمت أوروبا في فترة العشرينات والثلاثينات، وهنا نستذكر حكم موسوليني وهتلر وفرانكو باسبانيا، وقد تميزت هذه الأنظمة بممارستها لعنف طال معارضيها وخنقت كل الأصوات المعارضة، وهذا العنف لا يمكن أن نستثني منه الشيوعية البلشفية.

وفي هذا الاتجاه يعتقد أندريه غلوكسمان(1937_2015) أن كل الأديان التوحيدية والعقائد اللاهوتية السياسية ولّدت نوعا من العدمية، وما يحرك العدميون النازيون والمضطهدون والشيوعيون في الماضي يحرّك العدمي الإسلامي اليوم، والمتمثل في الكراهية القديمة للحرية وللنظام الكوسموبوليتاني والمدينة، ذلك أن كراهية الرسام والفيلسوف والمرأة المتحررة صفة متأصلة في الحركات الشمولية، حيث أن الإرهابي الإسلامي يمثل وريثا للعدمي الدستوفويسكي الذي يضع النار في المدينة متيقنا نهاية العالم، وهو لا يختلف عن الإرهابي الستاليني أوالهتليري. وخلاصة القول، يمثل الإرهاب الإسلامي الواجهة المعاصرة لثقافة الموت والعنف التي تعتبر أمرا جوهريا لكل حضارة.
(André glucksmann, 2015,52)

نجد هذا التحليل لدى **لوك فيري** (1951 -) والذي يؤكد أن تيارا واسعا من اليسار لا يفهمون طبيعة هذا العدو الداخلي، ويقصد بذلك الجهاديين الذين ليسوا أكثر جنونا من الستالنيين أو النازيين، أو الخمير الحمر، أو الهتوس قتلة

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

التوتسي، ذلك أن الجهاديين مثل كل الشموليين المتعصبين تحركهم إيديولوجية مسلحة لا علاقة لها بعلم النفس ولا بالمميزات الفردية، ولكن مرتبطة بالواقع الطائفي لهؤلاء. (Luc ferry, 2016,21)

يلاحظ في رؤى أندريه **غلوكسمان ولوك فيري** وفلاسفة آخرون لا يتسع المقام لذكرهم أنهم يساوون بين عنف الجماعات الجهادية وعنف الحركات الشمولية التي وصلت للسلطة، غير أن العنف الأول يمثل رد فعل حديث لفشل سياسات الاندماج الاجتماعي للمغتربين المسلمين في الغرب، أما العنف الثاني فهو مبرر من الناحية السياسية، فكل الحركات الشمولية(النازية، الشيوعية...) وصلت إلى سدة الحكم وعنفها ضروري للبقاء في الحكم، ويعتبر ضمانة لتحقيق الاستقرار.

إن وصف غلوكسمان ولوك فيري وآخرون من الفلاسفة الفرنسيين الذين يظهرون في وسائل الإعلام للجماعات الجهادية بالعدمية وصف غير مناسب، ذلك أن المصطلح في حد ذاته ومنذ **نيتشه** يعني غياب الاعتقادات والمثل التي تميّز المجتمع الغربي، فهل يصح ذلك على الجهاديين؟

بالعودة إلى أدبيات الجهاديين فإن العمليات الانتحارية تتم باسم عقيدة دينية ويقين بأن الموت كشهداء يعني الجزاء والبعث وصولا إلى الجنة، غير أن هذا الاعتقاد " الموت من اجل البعث" لا يتعلق باعتقاد ديني فقط، وإنما بمخطط حامل لآمال مكثفة، وهذا الأمر لا ينتمي فقط لإرث الديانات الأبراهامية الثلاثة، ولكنّه يوجد في عديد الثقافات الإنسانية وطقوسها الأولية وفي أساطيرها تحديدا. ومع النزعة الجهادية فإن القضية تتعلق بعودة تدين قديم لا يستطيع الإسلام كدين احتواءه. (Jacob Rogozinski, 2017,60-61)

يعتقد **جاكوب روقوزنسكي** (1953-) أنه إذا أردنا فهم هذه الاغتيالات الغربية يجب استبعاد فرضية الجنون والعدمية، وأنه يجب الاستماع إلى اعترافات الجهاديين، ويخلص هذا الفيلسوف إلى أن بعض هؤلاء يتحدثون عن

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

العزلة وغياب التواصل ونفاق المجتمع الفرنسي، وكل هذه التوصيفات تعبر عن معاناة نفسية تستدعي البحث عن الأسباب في التاريخ الشخصي لهؤلاء، ولكن وجب تجاوز هذا الأمر، وأن أصل هذه المعاناة توجد في مظاهر الاغتراب الجماعي، إن الأمر يتعلق بمعاناة اجتماعية متزاوجة بمعاناة نفسية.
(Jacob Rogozinski, 2017,63)

لكن ثمة عنفا مارسته دولا باسم الإسلام، وهنا يحضر النموذج الإيراني،في هذه الحالة يتحدث ميشال أونفراي عن فاشية إسلامية، ذلك أن الثورة الإيرانية أنجبت حركة فاشية إسلامية تدشن لهذه النزعة في تاريخ هذا الدين، وهنا ينتقد **أونفراي ميشال فوكو** الذي انبهر بثورة الخميني. لقد كان يفترض أن يعرف **فوكو** أن حكومة إسلامية ستقوم بتنمية كل ما كان يحاربه: " أي التمييز الجنسي وسجن الهوامش، وتقليص الاختلافات، ومنطق الاعترافات ونظام السجون وترويض الأجسام، ونموذج النظرة الشمولية ومجتمع التأديب والعقاب... فقراءة القرآن وتعلم الأحاديث- مصدري التشريع الإسلامي- كانا كافيين لمعرفة أن حكومة إسلامية ستكون أبعد من أن تعني عودة البعد الروحي ضمن المجال السياسي، وإنما علامة تحوّل الإسلام مجال سياسة ما بعد الحداثة التي تدشن، من خلال مبدأ حاكمية الله، نزعة فاشية إسلامية لم يرصدها فيلسوف ميكروفيزياء السلطة الحاذق. (ميشال أونفراي، 229،2012-230)

إن أفكار **غلوكسمان ولوك فيري وميشال أونفراي** حول العنف الإسلامي تساهم في خلق هوة سحيقة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وتنمي فكرة الصراع الحضاري بين الغرب والإسلام، وهكذا فإن تفكير هؤلاء الفلاسفة يحركه منطق ثنائية الخير مقابل الشر، ولكن ألا يجب أن نسأل من المسئول عن الدمار والحروب في العالم الإسلامي؟ أليس الغرب بمخططاته وتدخلاته السافرة، وفي هذا السياق ألا يمكن اعتبار العنف الإسلامي رد فعل على رفض الحداثة الغربية؟

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

4- العنف الإسلامي وصدمة الحداثة

يعتقد **مارسيل غوشيه** (1946-) أنه يصعب فهم العنف الإرهابي لأن أحداث التفجير والقتل لا تدخل في شبكات القراءة الاعتيادية عند الإنسان الفرنسي، وأننا نعلم أن أفعال القتلة تمت من خلفية إسلامية، ولكن فكرتنا عن الدين بعيدة عن هذا المسار، ولا نحمل هذا الأمر محمل الجد، وفي هذا الاتجاه سنبحث عن الأسباب الاجتماعية والاقتصادية التي تعتبر محركة لهذا العنف، غير أن المسألة متعلقة بظاهرة دينية. (Marcel Gauchet, 2015,20)

يعرف عن مارسيل غوشيه اهتماماته بالمسألة الدينية في علاقتها بالسياسة، ويشهد على ذلك كتبه الأساسية (فك السحر عن العالم، الدين في الديمقراطية، الشرطية التاريخية)، ولكن ما يهمنا هنا متعلق بفهمه لطبيعة العنف الإسلامي.

يرى هذا الفيلسوف أن هناك صعوبة في تسمية الظاهرة الإسلامية : إسلام راديكالي، إسلاموية جهادية، غير أن المصطلح الأقرب إلى إدراك غوشيه هو الأصولية، الذي دخل إلى الساحة الفكرية مع الثورة الإيرانية عام 1979، ولكن الاهتمام لم يستمر، وكان يجب انتظار أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001، وأحداث جانفي ونوفمبر 2015، والتي خلقت وعيا وطنيا في فرنسا، وولدت لدى النخبة أولوية فكرية، مع اكتشاف أن القتل يعيشون بين الفرنسيين، وأنهم يؤمنون بقضية دينية راديكالية تعتبر مشكلة فرنسية. (Marcel gauchet, 2017,39)

ينطلق غوشيه في فهمه لظاهرة الأصولية الإسلامية من فكرة أنها تعتبر العلامة الفارقة للخروج من الدين، وينطبق هذا المفهوم كما هو معلوم على المسيحية، ذلك أن التطورات التي حدثت بعد الإصلاح الديني وعصر التنوير قوّضت الهيمنة الكنسية والدينية على الحياة الاجتماعية عموما، ولم يعد الدين سوى نظام فردي من الاعتقادات الذاتية، ويمكن فهم ذلك بالعودة إلى ما كتبه غوشيه في

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

كتابه فك السحر عن العالم، حيث يقول:" كان هناك انتشار من جهة لنمط دولة مهمتها تنظيم المجتمع، ومن جهة أخرى انتشار الصورة لشرعية بين السلطة والمجتمع...، وهكذا ظهرت الدولة البيروقراطية والشرعية التمثيلية وسلطة الإدارة، وتوكيل ممثلين، وكل ذلك أعطى صورة لسلطة سياسية أصيلة خارج الوساطة المقدسة." (Marcel Gauchet, 2007,280-281)

إنّ تحقق مسار الخروج من الدين دفع بالكنيسة الكاثوليكية إلى قبول الديمقراطية والانخراط في عملية الحداثة، لكن بالنسبة للإسلام لم يسبق وأن تعرّض في مجمله إلا بدرجة محدودة إلى ضغط مسار الخروج من الدين، ولم يترسّخ فيه الانفصال مع المعيار الجمعي بأي شكل من الأشكال، فهو من الديانات الموجهة التي ترشد معتنقيها نحو العيش المشترك وتؤطر ذلك، وهذا ما يجعل اندماجها في الإطار الفكري والأخلاقي الذي تفرضه الحداثة المنضبطة ذاتيا أمرا عسيرا. (Marcel Gauchet, 2015,67)

تظهر الأصولية الإسلامية كنتاج لهذا التعسر، وهي قيم رافضة لقيم الحداثة الغربية، وقد تزامنت أولى تشكلاتها مع بلوغ الحركات الشمولية ذروتها، أي في فترة الثلاثينات من القرن الماضي مع بزوغ النازية والفاشية والستالينية. حيث أرسى أبو الأعلى المودودي المبادئ الأساسية للأصولية الإسلامية ضمن سياق الصراع من أجل فك الاستعمار عن الإمبراطورية الهندية، وإنشاء دولة، لا تكون دولة مسلمين فحسب، بل دولة إسلامية. (Marcel gauchet ,2015,72)

يوضح غوشيه ذلك بقوله: " لقد أتمّ المودودي العملية الحاسمة، والمتمثلة في إحياء الإسلام عبر تسييسه، محولا إياه إلى مشروع سياسي، ذلك أن الإسلام ليس دينا بالمعنى السائد للكلمة، فهو نظام يشمل جميع مناحي الحياة، أمّا الشريعة فهي قلب الإسلام... فهي تشمل العلاقات العائلية، الشؤون الاجتماعية والاقتصادية، وحقوق المواطنين وواجباتهم، والنظام الجزائي، وقوانين الحرب والسلم، والعلاقات الدولية... وإجمالا ينظر المودودي للجهاد ضمن منظور كوني

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

جذري، يتعيّن أفقه في الخلافة المتصورة كدولة إسلامية عالمية، حيث يشمل الإسلام المعمورة بمجملها، ولا يقتصر على رقعة صغيرة منها فحسب." (Marcel gauchet,2015,73)

يؤمن غوشيه بوجود خصوصية مسلمة على الرغم من أن العالم الإسلامي منقسم ومتنوع من الناحية الجغرافية، فمن موريتانيا إلى اندونيسيا، ومن نيجيريا إلى آسيا الوسطى يظهر لنا مشهد غير متجانس، وهذا دون الحديث عن الانقسام الكبير بين السنة والشيعة، وما يلفت النظر هو فرادة وضعية الإسلام اتجاه الحداثة الغربية، وعدم قدرة هذا الدين على فك ارتباطه بها، وهذا رغم تحرره من الامبريالية الاستعمارية، ومع ذلك لا يمكن القول أن هناك تواؤم بين الإسلام والحداثة الغربية.

إنّ ما يميز الإسلام في نظر غوشيه هو قربه من الأديان الغربية(اليهودية والمسيحية)، ولكن هذا التجاوز ليس عامل تهدئة، وإنما يمثل مؤشر توتر، ذلك أن الإسلام يعتقد أنه دين متجاوز للتوحيد اليهودي والمسيحي، باعتباره يمثل خاتمة الرسالة السماوية والوحي الإلهي النهائي، ثم إن اليهود والنصارى لا يعلمون أن الإسلام يعرفهم، وهو بدوره يعرف اليهودية والمسيحية، وهذا بالنظر لما يحتويه القرآن من أخبار أنبياء بني إسرائيل وقصصهم. (Marcel gauchet, 2015,75)

يعقب غوشيه على هذه العلاقة بين أديان الغرب والإسلام معتقدا أن وعي الذات المسلمة يناقض الوضعية الموضوعية لعالم الإسلام الحالي، فالهيمنة الحضارية للغرب اليهودي المسيحي على العالم الإسلامي واضحة للعيان، وهذا رغم ادعاء المسلمين بتفوقهم الديني، وهذا الوضع المأساوي هو نتيجة دخول المسلمين مرحلة جمود حضاري جعلتهم أقل شئنا من أهل الكتاب، وهي التسمية الإسلامية التي تطلق على اليهود والنصارى، وقد كانت الهيمنة الاستعمارية علامة على هذه الدونية، إذن هناك مصدر وجع هوياتي، وعدم قدرة على فهم القدر

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

التاريخي من لدن الوعي الإسلامي، وتساؤل عن كيفية حدوث هذا الانهيار، وفي ظل هذا الوضع يجب أن نفهم الصراع الإسرائيلي الفلسطيني الذي يمثل رمزية كثيفة لهذا الحال. (Marcel gauchet, 2015, 75)

هذا عن الميزة الأولى، أما الميزة الثانية فتتمثل في أن الإسلام يحمل كونية توحيدية، ارتبطت تاريخيا بالغزوات والسعي لبناء مجتمع إنساني من المؤمنين يسمى الأمة، وتلي هذه الميزة، إيمان المسلمين بأن القرآن يمثل كلام الله، بعكس الحالة المسيحية التي عرفت أربعة أناجيل متمايزة،(Marcel,gauchet, 2015,76)، ويرى غوشيه أن القرآن لا يناقش، فهو موضع تلقي، ومنه يخلص هذا الفيلسوف الفرنسي إلى نتيجة مفادها أن الإسلام يعتبر قاعدة حياة ينظم المجتمع بواسطة الشريعة .(Marcel gauchet, 2015,77)

كل هذه الميزات تمثل أرضية خصبة لنمو الأصولية الإسلامية، ولكن الذي يهم غوشيه هم الشبان الجهاديين الذين يعيشون على الأرض الأوروبية، فهم تعبيرات عن التوترات بين فردانية الاعتقاد ولا تجانس المشروع السياسي، وهذا التوتر سببه حداثة إسلام هؤلاء وعدم وجود ارتباط ثقافي بينهم وبين التراث الإسلامي، مترجمين انفصالا تهم الشخصية والاجتماعية بلغة دينية دون الاهتمام بالتكوين الديني، وهذا ما يسميه أوليفي روي بالجهل المقدس.(M , gauchet,2015,81)

باختصار تمثل الأصولية نتاجا للميزات الثلاثة -المذكورة آنفا- عن الإسلام، والعنف ما هو إلا نتاجا للمأزق الحضاري الإسلامي، وتجرنا هذه النتيجة إلى محاولة فهم فرضية ارتباط الإسلام كدين بالعنف وعلاقة ذلك بالقرآن.

4. القرآن والعنف:

تقوم وسائل الإعلام الفرنسية عادة باستدعاء الفلاسفة غداة كل حادثة إرهابية، لفهم الإيديولوجية المنظمة لهذه الأعمال، التي لم يألفها المواطن الفرنسي منذ فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وكما هو معلوم ألف المشاهد

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

الفرنسي أسماء يتكرر حضورها في المنصات الإعلامية، نذكر على سبيل المثال: روبيرت ريدكر(1954-)، ميشال أنفراي، ريمي براغ(1947-) ألان باديو(1937-)، والقائمة طويلة. نبدأ **بروبرت ريدكر**، الفيلسوف الذي أثار جدلا في مقالته التي نشرها في جريدة لوفيقارو الفرنسية، عنوانها **أمام التهديدات الإسلاموية ماذا سيصنع العالم الحر**؟

(Robert Redeker, 2006,20) موضحا ما يلي:

1- يريد الإسلام أن يفرض قواعده على أوروبا، فتح مسابح خاصة للنساء ، ومنع الرسوم الكاريكاتورية عن الإسلام...

2- يسكن الحقد والكراهية كتاب المسلمين، ولهذا الأمر أثر على تربية المسلم.

3- يمثل محمد(صلى الله عليه وسلم)نبي المسلمين قائدا محاربا، لم يعرف الرحمة ولا الشفقة، وأباد اليهود والوثنيين.

4- إذا كانت اليهودية والمسيحية في طقوسها لا تشرعن العنف، فإن الإسلام في طقوسه وكتابه المقدس يمجد الحقد والعنف.

تمثل هذه الاتهامات علامة على النظرة المركزية الغربية الحاقدة، وهذه الأحكام التي حملتها هذه المقالة تكاد تكون الصفة السائدة عن المسلمين في وسائل الإعلام الفرنسية. وفي سياق آخر يؤكّد **ريدكر** أن صدام الحضارات في هذه الحرب المفتوحة، التي يقودها الإسلاميون ضد أوروبا هي التعبير الأكثر وضوحا، ذلك أننا أمام مواجهة بين جو حضاري معين وآخر مختلف عنه. إنّه صراع بين فضائين وتاريخين، والصدام هنا، ليس بين حضارة القرآن و حضارة الإنجيل والأنوار، إنّه صدام بين زمنين: زمن الذين يعيشون في واقع عضوي، ممتلئ تحكمه إيديولوجية تحيط بمظاهر الوجود مقابل زمن الغربيين، الذين يعيشون في جو من العبثية والمحاكاة الساخرة. (Robert Redeker, 2015,121)

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

إن التحامل على القرآن واعتباره مصدرا للعنف الإرهابي لم يقتصر على **ريدكر**، فهذا الخطاب دأبت عليه كتابات **ميشال أونفراي** الذي يقول: " إذا رجعنا إلى السور التي تدعو إلى إبادة المخالفين من وثنيين ويهود، وبالنظر إلى شخصية محمد العسكرية فإنه يمكن القول أن الإسلام دين حرب ولا تسامح وحقد." (Michel Onfry,2016,32)

وعالم الاجتماع **رفائيل ليوجييه(1967-)** على كلام **أونفراي** قائلا:" إن كلام **أونفراي** يلخص آخر نقطة دعم للأسطورة التي تشير إلى أن القرآن يثبت فكرة أن الإسلام يطالب مخالفيه بالخضوع التام لحقيقته، وهذا ما يجعله ديانة غير متسامحة ومحتلة... بهذا المعنى فإن مأساة الحادي عشر سبتمبر ليست قضية إرهاب وإنما نتيجة منطقية للخضوع للثقافة الشمولية." (Ra phael Liogier, 2016,132-133)

تتوافق مواقف **ريدكر** و**أونفراي** مع النمطية الإعلامية السائدة لدى النخب المثقفة الفرنسية، ويمارس هؤلاء الفلاسفة التسويق الفكري إذ أن أعمالهم الفلسفية تجد جمهورا واسعا نتيجة الإشهار المجاني لأعمالهم الفكرية، والذي تعرضه وسائل الإعلام، والملفت للنظر أن معارفهم الدينية ضحلة وذات طابع انتقائي، تتماشى مع البرمجة الإعلامية.

إذا كانت معارف **ريدكر** و **أونفراي** محدودة في مجال الثقافة الإسلامية فإنه يجب البحث عن شخصية فلسفية أخرى تملك قدرا علميا دينيا مهما، وعلى هذا الأساس وجب فهم مسألة العنف الإسلامي عند **ريمي براغ (1947-)** أستاذ الفلسفة الوسيطية والمدرك جيدا لإشكاليات الفكر الإسلامي ورهاناته بحكم تخصصه.

بالنسبة لهذا اللاهوتي والفيلسوف معا يضم القرآن أنماطا مفاهيمية وجب تمييزها، ولكنه وجب الحديث عن خصوصيات بالنظر إلى العهد القديم، ذلك أن

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

القرآن يحتوي على أوامر القتال، والتي تبقى مفتوحة، وهذا بالرغم من أن هذه الأوامر قدمت في ظروف فريدة مرتبطة بسياق تاريخي معين تجعل القارئ يعيد تحديدا أعداء جدد حسب الاحتياجات.(Remi, 2018-229 Brague)

لا تختلف أحكام **ريمي براغ** فيما يخص مسؤولية النص القرآني عن العنف الإرهابي، ذلك أن الجماعات الإرهابية تمارس عنفها باسم الإسلام، والكثير من المسلمين ينطلقون من القرآن عندما يتذكرون نداءات القتال وإخضاع المخالفين لهم.(Remi brague, 2019,29)

وتماشيا مع هذا المنطق، يرى **ريمي براغ** أن الاعتداءات الإرهابية ضد رسامي شارلي ايبدو تذكرنا بالحكايات القديمة، والتي تعود إلى زمن النبي محمد في فترة القرن السادس ميلادي، عندما أمر محمد بقتل كعب بن الأشرف وأبو عفاق وأسماء بنت مروان، وهذه الحادثة استقاها براغ من ترجمة عبد الرحمان بدوي لكتاب سيرة ابن هشام (R, Brague, 2015,66)

إن موقف **ريمي براغ** من الإسلام عموما، والقرآن خاصة وعلاقته بالعنف مصدره القراءات الإستشراقية ، التي دأبت على النظر إلى الثقافة الإسلامية من منظار حضاري مسيحي على خلاف **أونفراي وريدكر** اللذان نظرا إلى مشكلة العنف من خلفية فلسفية تنويرية.

في مقابل هذه القراءات الماهوية لتفسير العنف الإرهابي تظهر قراءة ألان باديو أحد أهم الأصوات الماركسية، التي تحاول الخروج من منطق الدين والهوية في فهم هذه الأحداث المرعبة، يقول ألان باديو:" إن إلقاء اللوم على الإسلام لن يكون صراحة أمرا جديا لأن أولوية وطبيعة العصابات المسلحة لا يتجاوز اجتياح مناطق منكوبة من العينة الرأسمالية، وإقامة نظام عصابات ذات مردودية اكبر، والتي لها أن تصطبغ بعد ذلك بملامح روحانية متعددة في سبيل غواية الثوار الشباب، أن الديانات، وذلك على غرار كل الإيديولوجيات، بما في ذلك الثورية

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264
تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

منها، كانت ذات قابلية لكي تتراكب مع الممارسات المافيوية، بما فيها الايطالية نفسها، تلك المشهورة بعرابيها أعلنت وتعلن دائما عن نزعة كاثوليكية باذخة." (ألان باديو،67،2017)

تنطلق قراءة الان **باديو** من خلفية ماركسية، ترى في النزعة الجهادية جزءا من أعراض الرأسمالية ونتاجا متحكما فيه، والرجل معروف برفضه لخطاب الفلاسفة الفرنسيين المعادي للمهاجرين المسلمين في فرنسا، ويعتبرهم، أي الفلاسفة جنودا للرأسمالية المتوحشة، ومحسوبين على الاوليغارشيا المالية.

الخاتمة:

خلاصة القول، لا يوجد اتفاق على تشخيص مشكلة العنف الإسلاموي بين من يحاول فهم هذه الظاهرة بالعودة إلى التاريخ الإسلامي في بداياته التأسيسية وبين من يقرأ ظروف العالم الإسلامي الحالية وتحديات الحداثة الغربية الحالية، لكن الأصوات المسموعة والغالبة هي تلك التي تتناول الموضوع ضمن منطق الدين والهوية.

إن التصورات الفلسفية الفرنسية عن الإسلام تمثل امتدادا للصور الموروثة عن العصر الوسيط، إذ ما يزال هذا الدين يمثل تحديا حضاريا بامتياز، والغالب في أحكام الفلاسفة الفرنسيين أنهم ينظرون للإسلام كإيديولوجية عنيفة وليس كدين متسامح أو حتى حضارة ساهمت في بناء الحضارة الإنسانية.

المجلد :7 / العدد: 2 ISSN :2353-0499
E-ISSN :2602-5264

تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

المصادر و المراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، دارلسان العرب، بيروت، المجلد 3، ص 903.

2- ألان باديو، ترجمة محمد هاشمي، 2017. شرنا يأتي مما هو أبعد، التفكير في مذبحة 13 نوفمبر، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المغرب، معهد غرناطة اسبانيا، ط1، ص 67.

3- محمد الشيكر، 2016. ميشال فوكو والثورة الإيرانية، منشورات الزمن، مطبعة بني ازناسن سلا (المغرب)، العدد 70، ص 140-141.

4- 13- ميشيل أونفراي، 2012. كتاب نفي اللاهوت، فيزياء الميتافيزيقا، ترجمة محمد العروسي(ألمانيا) منشورات الجمل، ص ص 229-230.

5- Andre Lalande, 1996. vocabulaire technique et critique de la philosophie, 18eme éditions, delta Beyrouth et puf Paris, p 1210.

6- Jean Birnbaum, 2016. un silence religieux, la gauche face au djihadisme, le seuil, pp168-169.

7- Raphael liogier, 2018. La guerre des civilisations n'aura pas lieu, CNRS, Paris, 71.

8- Eric Aaschlmann , 8/2/2018. Quant Foucault s'enthousiasmait pour la révolte iranienne, l'obs, n-0 2779, p 74-75.

9- Jacques Ellul, 2004. Islam et judéo-christianisme, Reed, puf France, pp46-47.

10- Peter Sloterdjik, 2007. Colère et temps, essai politiquo-psychologique, trad. de l'allemand par Olivier Manoni, Libella Manem Sell édition, Paris – France, p 305.

11- André Glucksmann,15 janvier 2015 .Il faut oser nommer le mal propos recueillis par Saïd mahrane, le point, 2209, p 52.

12- Luc ferry, 29 juillet 2016. la haine religieuse n'est pas une maladie qui appelle un suivi psychologique, le figaro, p 21.

13- Jacob Rogozinski, 2017, djihadisme, le retour du sacrifice, Desclee de Brouwer, Paris, 60- -61.

14- Marcel Gauchet , dimanche 22,lundi 23 novembre 2015.le fondamentalisme islamique est le signe paradoxale, de la sortie du religieux, le monde, p 20.

15- Marcel Gauchet, 2017 . L'attraction fondamentaliste, revue figures de la psychanalyse, n0- 34, p39.

ISSN :2353-0499 المجلد :7 / العدد: 2
E-ISSN :2602-5264

تاريخ الارسال : 2020/06/25، تاريخ القبول: 2020/06/28، تاريخ النشر: 2020/07/01

16- Marcel Gauchet, 2007. le désenchantement du monde, une histoire politique de la religion, folio essais, éditions Gallimard, Paris, pp 280-281.

17- Marcel Gauchet, 2015.les ressorts du fondamentalisme islamique, le débat, 3n⁻ 185, p 67.

18- Rafael Liogier, 2016, le mythe de l'islamisation, essai sur une obsession collective, le Seuil, Paris, pp 132- 133.

19- Robert Redeker, 19 septembre 2006. face aux intimidations islamiste, que doit faire le monde libre ? le figaro, p20.

20- Robert Redeker ,19novembre 2015. comprendre ce que nous ne comprenons pas, le point, 2254, p 121.

21- Michel onfray, 2016 .penser l'islam, grasset, Paris, p32.

22- Remi Brague, 2018. sur la religion, Flammarion, Paris, p 229.

23- Remi Brague, Souleymane Bachir Diagne, 2019. la controverse, dialogue sur l'islam, stock, philosophie magazine éditeur, Paris, p 29.

24- Remi Brague, 15 janvier 2015, dans les gènes de l'islam, l'intolérance, le point 2209, p 66.